إهداء

.....

إلى .. زوجتي هايمة

وأبنائي ..زياد وفيروز وحنين ..منكم الأمل ولكم كل الحب .

وإلى أخي محمد .. سندا.. وعونا أتمنى أن يدوم .

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

عشقت شعر محمود درويش وسميح القاسم ، وأحببت أدب نجيب محفوظ وبهاء طاهر وعبد الرحمن منيف ، وجذبني جلال أمين مفكرا وإنسانا ،وكلما كان ينتهي عمل درامي لأسامة أنور عكاشة ، كنت أعد الأيام شوقا إلى عمله التالي .

حلمت قبل أن أكون صحفيا بلقاء هؤلاء ، ثم تحققت الأمنيات تباعا.

جلست أنا وصديقي الصحفي الراحل مجدي حسنين ، مع محمود درويش وسميح القاسم ساعات قليلة ،لكنها كانت عميقة ،كانت الجلسة في ليلة قاهرية اندمج الاثنان خلالها في سرد الذكريات التي جمعتهما في فلسطين المحتلة ، وزادت الجلسة تألقا بانضمام يوسف القعيد والفنان الراحل كرم مطاوع والشاعران الفلسطينيان أحمد دحبور،وهارون هاشم الرشيد .

عشت مع أسامة أنور عكاشة أياما كثيرة ،وكنت شاهدا ومشاركا في ندوات جماهيرية معه حول مسلسله الرائع « ليالي الحلمية » ،وتواصل الحوار بيني وبين جلال أمين سنوات طويلة، زادتني معرفة بعالمه وفكره وبعائلة والده المفكر الكبير أحمد أمين .

انفعلت برواية « الحب في المنفى » لبهاء طاهر فكتبت عنها ، وقادتني الكتابة إلى لقاءات متعددة معه ، وقراءات متكررة لكل رواياته الجميلة وقراءات متكررة لكل رواياته الجميلة ، لأجد فيها شجنا نبيلا ، وحزنا مقيما علي أحلامنا الضائعة ، ورغم أنه كتب رواية «واحة الغروب » بعد رواية «الحب في المنفي» بأكثر من عشر سنوات ، إلا أنني وجدت علاقة قوية بين الروايتين .

غضبت من مذكرات نجيب محفوظ التي كتبها الناقد والكاتب الراحل رجاء

النقاش ، لما احتوته من هجوم متعسف وغير موضوعي علي جمال عبد الناصر ، فذهبت إلى نجله الدكتور خالد ليرد عليها ، فجاء رد خالد مفاجئا لنجيب كما أبلغني الروائي والكاتب جمال الغيطاني أحد تلاميذ محفوظ ، الذي سألني :« ما رأيك في لقاء يجمع بين الاثنين ؟» وتم اللقاء .

لم تجتمع كل هذه الأسماء في أرشيفي الصحفي فحسب ، بل شكل كل واحد منها علامة كبيرة في حياتي الصحفية ، ولما عدت إلى ما دار بيني وبينهم اكتشفت أن هناك خيطا ممتدا في أقوالهم ، رغم اختلاف نوعية إبداعهم ..وهو الحديث عن الأحلام الوطنية الكبيرة التي ضاعت ، وكيف ترك ضياع هذه الأحلام تأثيرا بالغا على الإنسان العربي من المحيط إلى الخليج ، فبقدر ما كان توهج الأحلام العامة ، بقدر ما كان التوهج في الأحلام الخاصة.

ضاعت الأحلام الوطنية الكبيرة التي تمجرت في طول الوطن العربي وعرضه في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ، فبدا الأمر كما لو أننا محكمون بالهزيمة والخراب والدمار، ومحكمون بما يمليه الحكام العرب الذين تسببوا وصنعوا هذه الكوارث دون حساب أو عقاب من شعوبهم ، وانعكست هذه الحالة على صنوف الإبداع العربي، الذي برع في تصوير حالة الانكسار التي لم تتوقف عند الهزائم العامة ، وإنما امتدت إلى الهزائم الشخصية .

ظل المشهد العربي قاتما ، وبدا أفق التغيير مسدودا ، حتي تفجرت الثورة التونسية ، ومن بعدها ثورة ٢٥ يناير في مصر ، ونجحت الثورتان في اقتلاع حاكمين من نادي الرؤساء العرب الذين برعوا في تقديم الهزيمة وراء الأخرى ، وانتقلت عدوى الثورة إلى أقطار عربية أخري ،وأدت الثورتان إلى توقفي أمام نسيج هذا الكتاب من زاوية ، هل يصلح أن أدفع به أم لا؟، ،وذلك بعد أن كنت انتهيت من صياغته الجديدة التي تختلف عن تلك التي تم نشرها من قبل في صحف

ومجلات عربية مختلفة ، وتوسعت بالقدر الذي يعطي صورة أكثر شمولية عن الأحداث والمواقف والأشخاص وحكايات التاريخ التي وردت في هذه اللقاءات.

جاء سؤال :« الدفع بالكتاب أم لا » ، على خلفية أننا أمام حالة ثورية جديدة تهب على الوطن العربي وفي قلبه مصر ،وهي حالة مشرقة تبعث على الأمل ،في حين إن موضوع الكتاب فيه ما يكفي من حكايات الأحلام الضائعة التي قد تثير الإحباط أكثر مما تفتح الشهية للأمل .

وفي النهاية وجدت أن الدفع به سيحتوي على فائدة أساسية تكمن في أنه يعكس بصورة ما حالة تاريخية عاشتها مصر والمنطقة العربية ، وبالتالي فهو يعد نوعا من الشهادة على ماضي تصلبت شرايينه ، حتى ثارت الجماهير على هذا التصلب كي تعاود العيش بكرامة ، افتقدتها سنوات طويلة .

وأخيرا يبقى واجب الشكر لأصدقاء شجعوني على إصدار هذا الكتاب ، وأخص في ذلك الصديق والكاتب اللامع حلمي النمنم رئيس مجلس إدارة دار الهلال ، الذي كان يحرضني كثيرا علي إصداره ، كلما كان يقرأ بعضا من موضوعاته في الصحف حيث كنت أنشرها باختصار ، وكذلك فعل الصديقان الشاعران والكاتبان ماهر حسن ووائل السمري الذين أطلعتهما على الصياغات الأخيرة .

طوخ – قليوبية – ١٤ مارس ٢٠١١.